النهار
٢٠٠١/٨/٣١

اسرائيل وراء المتاريس

لو سئل مواطن عربي عن لائحة القادة الفلسطينيين الاكثر ازعاجاً بالنسبة الى اسرائيل، لما كان على الارجح اورد معظم الشخصيات السبع التي صدّرت بها جريدة "معاريف" صفحتها الاولى يوم الثلثاء مذيّلةً بعنوان فيه من الوعيد اكثر مما فيه من الإنباء. ولعل مثل هذا التباعد في تقويم الوضع الفلسطيني من الدلائل المقلقة على خروج فلسطين من الوعي العربي، فلسطين الحقيقية بلحمها ودمها، برجالها ونسائها، بقوتها وضعفها، وليس فقط فلسطين الفصاحة والشعارات.

للتذكير، جاءت صفحة "معاريف" على شكل ملصق للمستهدفين بالقتل تتوسّطه صورة كبيرة للرئيس ياسر عرفات، وعن يمينها ويسارها صور لكل من الشيخ احمد ياسين، الزعيم الروحي لحركة "حماس"، وعبدالله الشامي، قائد "الجهاد الاسلامي" في الداخل، وابو مازن وابو العلاء، رئيس المجلس التشريعي، وياسر عبد ربه، وزير الاعلام، الى الشهيد ابو علي مصطفى، وقد شطبت صورته بخطّين عريضين. ولمزيد من التذكير، فان اربعة من القادة السبعة كانوا يُنعتون يومياً قبل اقل من سنة بدعاة الاذعان والتفريط، وصولاً الى اتهامهم بالخيانة، على ألسنة الوكلاء الحصريين للنضال القومي، بل كان الصحافي إنْ أجرى مقابلة مع واحد منهم يصبح موضع شبهة عند الذين تلقنوا العروبة بدروس الاستلحاق وراء الستار.

طبعاً، ليس الظرف ملائماً لطلب الاعتذار عن كل الاساءات التي وجّهت الى السلطة الفلسطينية في الاعوام الاخيرة، وان يكن انعدام البصيرة الذي يميز عروبة الانظمة قد اثّر سلباً على الموقع التفاوضي الفلسطيني. فالاهم من ذلك في هذه اللحظة هو ان ندرك ماهية الصراع كما صار الاسرائيليون ينظرون اليه بعدما انتقل مركزه الى ارض فلسطين بفعل اتفاق اوسلو (وليس بداعي فشله). والحال ان اربيل شارون، الذي قوبل انتصاره في الانتخابات قبل اشهر بصيحات مؤيديه المبتهجين بان "اتفاق اوسلو مات"، يرى في محو سبعة اعوام من الحكم الذاتي مدخله الى استعادة مشروع "اسرائيل الكبرى".

فما يستدلّ من فلسفة "لائحة الاستهداف"، وما شابهها من تعليقات في صحف اسرائيلية اخرى بعد اغتيال ابو علي مصطفى، هو ان التيار المتطرّف القيّم اليوم على القرار الاسرائيلي مقتنع بان تشكّل جسم سياسي فلسطيني متكامل على ارض فلسطين بات الخطر الاكبر. فاذا نجح في تقطيع رؤوسه او اقتلاعه مجدداً، يكون قد انهى معاندة المجتمع المقاوم ابداً. اما العمليات العسكرية، وخصوصاً تلك التي تهدف الى اعادة احتلال المدن والمخيمات بشكل موقت (اقله حتى الآن)، فما يفيد به منطقها المحرّك هو ان جغرافيا الحكم الذاتي، التي كانت عامل اختناق للفلسطينيين، شكّلت ايضاً مصدر تهديد لما يمكن اعتباره الخطوط الامامية للمشروع الصهيوني المعاصر، اي مستعمرات ما بعد ١٩٦٧، وعلى وجه التحديد ما ساهم منها في توسيع القدس وضمّها.

فاذا اهتزّت هذه الجغرافيا، عاد امكان استخدامها في تقطيع اوصال المجتمع الفلسطيني. بيد انه يمكن مقاربة المعطيات ذاتها بطريقة مختلفة. فرغم الخلل الكبير في ميزان الخسائر البشرية والمادية ورغم الغطرسة الاسرائيلية المتغذّية من اجتماع التفوق التكنولوجي الهائل والغطاء الاميركي المستمر، تبدو اسرائيل في لحظة الهجوم المتكررة يومياً وكأنها في موقع الدفاع! ليس بالمعنى الذي

النهار
٢٠٠١/٨/٣١

تسوّقه الدعاية الصهيونية في الغرب (دون كبير نجاح)، وانما من حيث حجم التوظيف الرمزي، ناهيك بالمادي، الذي تحمّله اسرائيل للمعركة، فتحوّلها حرب استنزاف لا قدرة لها على حسمها بما يتّفق مع روحية الهجوم الصاعق الذي وحده يأتيها بالطمأنينة. فلا غرابة بعد ذلك إنْ فقدت المستعمرات وظيفتها القديمة كنقاط امامية للتوسّع لتلعب دور المتاريس عند خطوط الدفاع الاولى. لا تعني مثل هذه المقاربة ان اسرائيل خسرت سلفاً المعركة.

فالكثير من الدماء ستراق قبل ان يدرك المجتمع الاسرائيلي او تدرك الادارة الاميركية ان لا جدوى من الاستمرار في مواجهة اقصى ما يمكن توقعه منها هو ان تكون معركة تأخير، كما يقول العسكريون. ولكن لا ريب ان سر استدامة الانتفاضة في ظل حكم شارون يكمن في هذا الرهان.

وذاك هو الاختلاف الجوهري بين الانتفاضتين. فبينما كان يجب ان تندلع الانتفاضة الاولى حتى يرتسم افق الخروج من الاحتلال، فان افق الخروج من الاحتلال هو ما يغذي الانتفاضة الثانية بعد نحو عام من مواجهة ثنائية فيها من الندية السياسية اكثر مما فيها من الخلل العسكري. وفي هذا الوقت، يستعد العالم العربي للاحتفال بالذكرى السنوية الاولى لتحرك "الشارع" فيه، طيلة اسبوع يتيم. ولا وقت تالياً لفهم الرهان، فكيف بتقصير امده؟

سمير قصير

النهار
٢٠٠١/٨/٣١

Id-Reference	**01-Pr-000470**	
Media	**(Support)**	HC
Title		اسرائيل وراء المتاريس
Subtitle		
Section		
Language		عربي
Source		النهار
Page		
Date		٢٠٠١/٨/٣١ 31/8/2001
Author		سمير قصير
Co-Author		
Keywords		
	Persons	ياسر.عرفات – احمد.ياسين – عبد.الله.شامي – ابو.مازن – ابو.العلاء – ياسر.عبد.ربه – ابو.علي.مصطفى – اريل.شارون
	Locations	فلسطين – اسرائيل – قدس –
	Dates	١٩٦٧
	Themes	فلسطين – صراع – استهداف.قادة – جريدة.معاريف – ياسر.عرفات – اتفاق.اوسلو – انتقال.صراع – اوسلو – أحمد.ياسين – حركة.حماس – اريل.شارون – مشروع.صهيوني – عبد.الله.شامي – حركة.جهاد.اسلامي – حكم.ذاتي – نضال.قومي – سلطة.فلسطينية – مشروع.اسرائيل.كبرى – عروبة – أنظمة.عربية – مشروع.صهيوني – مستعمرات.ما.بعد.١٩٦٧ – دعاية.صهيونية – انتفاضة – حكم.شارون –
Subject		